نَظَرَاتٌ فِي الْقُرْآنِ

المقالات المنشورة في صحيفة الأهرام اليومية المصرية

رمضان ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

مصطفى حمدون أمين

باحث في اللغة العربية والفكر الإسلامي

للتواصل مع الكاتب/

ibn.hamdoun@gmail.com

٠١٢٢٠٨٥٠٥٠٩

تقديم

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وجعل أنواره باقية في العالمين، ولم يَحرم مُقبِلًا عليه من فيض بركاته، والصلاة والسلام –كما يحب ربنا ويرضى – على عبده ورسوله الذي اصطفاه ليُخرج به عباده من الظلمات إلى النور، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين. أما بعدُ ...

فهذه سبعة عشر مقالا تيسَّر نشرُها بصحيفة الأهرام المصرية في شهر رمضان المبارك، أضعها بين يدي مَن يريدها، راجيًا له أن ينتفع بما فيها مِن خير في أمر دنياه وآخِرته. وإن كان فيها زيغ عن الصراط المستقيم؛ فأرجو الله أن يَقِيَ عباده منه، ويغفر لي، وأرغب إلى مَن وقف على ما يقتضي نصيحةً لي أن يبادر إلى ذلك، هدانا الله جميعا سُبُل السلام في الدارين.

كما أرجو الله أن يشكر لمن كان سببًا في نشر هذه المقالات الأستاذ **رجب عبد العزيز الصحفي بالأهرام**، ولكل مَن أعان على ذلك وشجع.

هذا، وينبغي التنبيه إلى أنه قد اقتضت سياسة الصحيفة عدم وضع اسمي في نهاية المقال، فاختير أن يُوضَع – في جميعها – بعد أسطُر منه، مع التصرف اليسير في العبارة من أجل ذلك، وقد كان يُنشَر مُوَقَّعًا – أحيانا – باسم الأستاذ رجب عبد العزيز؛ بوصفه الصحفى الذي قدَّم المقالات للجريدة. كذلك كان يُذكَر في التعريف بي أني باحث في الفكر الإسلامي بدار العلوم أو بجامعة القاهرة، وهذه نسبة انتماء دراسي لا وظيفي.

والحمد لله في بدء كل خير ومنتهاه، ومنه التوفيق والقبول.

مصطفى حمدون أمين

باحث في اللغة العربية والفكر الإسلامي

التزكية والتعليم(١)

يلاحظ قارئ القرآن اختلافًا في ترتيب بعض الألفاظ من سياق لآخر، كالذي يمكن أن يلاحظه من اختلاف ترتيب ذِكر التزكية مع تعليم الكتاب والحكمة، بعد ذكر تلاوة الآيات؛ ففي سورة البقرة قُدِّم التعليمُ على التزكية، وهذا الترتيب قد جاء على لسان أبي الأنبياء إبراهيم؛ حين كان يدعو وهو يرفع قواعد الكعبة المشرفة: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)}

وهذا ترتيب منطقي لا إشكال فيه؛ حيث يُبلِّغ الرسولُ -أولا- الآيات إلى الناس، ثم يكون الإقبال على التعلُّم، ثم تحدث التزكية من إصلاح وتطهير نتيجة نجاح المتعلم.

ولكن في مواضع أخرى قُدِّمت التزكية على التعليم، كالآية (١٥١) من سورة البقرة، ومثلها في سورة آل عمران: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)}، وكذلك الآية الثانية من سورة الجمعة.

وهذا -حسَب المشهور بين المفسرين- لمناسبة مقام الامتنان، كما هو ظاهر في لفظ الآية، وكذلك للاهتمام بالتزكية، وتنشيط الهِمَمِ لطلب وسائلها.

---

(١) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – غرة رمضان ١٤٤٠هـ / ٦ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٨١٦١.aspx

ومما يمكن استنباطه في ضوء تلك الإشارات:

- أن الله -تعالى- إذا أراد هداية عبده زكّى نفسه -أولا- وهيّأها؛ حتى تستوعب حقائق الكتاب والحِكمة، ثم يزكيها تزكية كبرى بعد العِلم تتحقق بها الطهارة من مساوئ الضلال المبين.
- وأن التزكية إنما تحصل بمجرد استماع القلوب للآيات، وثَمّ فرق بين الاستماع ومجرد السماع. وإن أولئك الذين تحصل لهم التزكية بمجرد الاستماع قد مَنّ الله عليهم بفطرة نقية تستجيب لداعي الحق بمجرد وجوده في حيز إدراك تلك الفطرة.
- وأنَّ سبيل الداعي إلى الحق أن يتلو ويُبلِّغ ويُعلِّم، وهذه هي تزكيته للذين يدعوهم؛ حيث يخبرهم بأسباب التزكية ويُعرِّضهم لها، وليس في طاقته أن يُدخلهم فيها؛ فإن الرسل -وكذلك ورثتهم مِن العلماء- ما هم إلا معلِّمون، لا يُطالَبون بغير الاجتهاد في التعليم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يضيرهم بعد ذلك إعراض المتعلمين عن إرشادهم. أما تزكية الرَّبِّ لعبده فاصطفاء وتأهيل وتعليم وتطهير وتثبيت وترقية، كما اصطفى مريم وطهَّرها واصطفاها على نساء العالمين، وقد قال الله للرسول في سورة القصص: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)}.

العدل مع المخالف[٢]

العدل صعبٌ على النفس أحيانًا، ولكن ذلك لا يمنع الاعتراف بأنه مِن أهم القِيَم المتفق على اشتراطها لقيام الحضارات وإعمار الأرض. والعدل مع المخالف أصعب أنواع العدل؛ ذلك لاحتياجه نفسًا نقيَّة يحكمها العقل والحق ومقتضيات الإيمان بالآخرة؛ ولذلك كان العدل في الخلاف قيمة نَدُرَ أهلُها.

ومن أهم النصوص الداعية إلى العدل بصفة عامة، وإلى العدل مع المخالفين بصفة خاصة: الآية الثامنة من سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

وقد جاء النهي فيها عن عدم العدل مع الذين نكرههم، وليس النهي عن ظلمهم؛ مما يشير إلى أهمية إعطاء المخالف حقه دون أي نقص؛ حتى لا ينقص العدل.

كما تكررت مادة العدل في الآية مرتين: الأولى في سياق النهي عن عدم الوفاء باكتماله، والثانية في سياق الأمر المباشر بالالتزام به، بالإضافة إلى أنَّ مِن معاني (القِسط) هو العدل؛ وذلك كله تأكيد على ضرورة التزامه مع مَن نُحِبّ ومَن نَكره؛ حتى نقترب من تحقيق تقوى الله الذي يحكم بين عباده بالعدل.

---

(٢) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٢ رمضان ١٤٤٠هـ / ٧ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٨٢٩٥.aspx

ويلاحظ في هذا النهي -أيضا- صعوبة نسبية في نطق {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ}، وبخاصة عند قلقلة الجيم الساكنة بعد الياء، ثم في التوقف المؤقت مع النون المشددة التي يسميها اللُّغويُّون نون التأكيد الثقيلة؛ فإن هذه المعاناة في الأداء الصوتي تناسب تلك الصعوبة في التزام العدل.

وإن الآية تخاطب المؤمنين؛ وذلك يُوجِب على مَن يدَّعي أنه منهم أن يجتهد في الالتزام بأمرها ونهيها.

وإذا كان الخلافُ واقعًا لا مفرَّ منه، فإنه لا يعني الإنكار والمعارضة دائما؛ فالحرص على العدل مع المخالف -بالإضافة إلى كونه من دلائل الإيمان- يُعَدُّ من الإحسان؛ وقديما قيل: "أحسِن إلى الناس تستعبد قلوبهم"، وإن لم يصبح المخالف معَنا نتيجة إحساننا، فربما نأمن بعضَ شرِّه، أو على أقل تقدير نكون قد تبرأنا مِن الفُجر في الخصومة وهَضْم الحقوق.

ولا شك أن التزام العدل -مع وجود الخلاف- قد يعين على الحوار الهادئ وتيسير التعاون في المتفق عليه، ذلك في ضوء الإقرار اللفظي والعملي بالحق؛ مما يعين على زوال الآثار السيئة للخلافات الواقعة؛ فيتحقق التعايش السلمي الذي يؤدي إلى الإسهام الإيجابي في بناء الحضارة وإعمار الأرض.

ما يمنعُ الانتفاعَ بالقرآن[٣]

من ينظر في هاتين الآيتين من سورة الإسراء: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)}؛ قد يخرج بنتيجة ظاهرة: هي أن الله يمنع بعضَ الناس الانتفاعَ بالقرآن، فلا تصل أنواره إليهم، حيث يمنعهم وسائل تدبره؛ فيمنع قلوبَهم استيعابَه، ويجعل في آذانهم (الوَقْر) أي ثِقَل السَّمْع أو الصَّمَم الكامل، وهو -هنا- معنوي؛ فهم يسمعون ولا يظهر للمسموع عليهم أثر؛ لأن على قلوبهم أكِنَّة، أي أغطية تمنع الوصول لما تحتها.

ولكن يبقى على المتأمِّل المؤمن بعدل الله وحكمته أن يبحث سببَ ذلك: ماذا فعل هؤلاء حتى يقضي الله عليهم بذلك العقاب الخطير؟

وإذا تدبَّر الآية الثانية وجد أول الأسباب: إنّ أولئك الممنوعين الاهتداءَ بالقرآن يُعرِضُون عنه؛ لأنهم يريدون دينًا على هواهم: {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآَنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا}.

وإذا تأمل ما بعد هاتين الآيتين يجد أنهم حين يستمعون القرآن يكونون مشتغلين بمحاربته، فلا يهتدون إلى أنواره؛ قال الله -تعالى-: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ

(٣) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٣ رمضان ١٤٤٠هـ / ٨ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٨٤٢٨.aspx

إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)}.

ومَن يبحث في القرآن يجد هذا المعنى قد جاء ما يشبهه في مواضع أخرى، وكلُّها يُؤكد إعراضهم عن القرآن، مثل سورة الأنعام الآيات [٢٥-٢٨]، وسورة الكهف الآية (٥٧).

إنهم هم الذين أضلوا أنفسهم، ولم يُعطُوا لها فرصة للتعقُّل والتدبُّر، ولا يحتاج تدبُّر القرآن سوى الإقبالِ الصادقِ في رجاء الفهم -مع الأخذ ببعض العلوم اللغوية والشرعية- وقد تكرَّر في سورة القمر أربعًا: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}.

إنَّ الله العليم الحليم قد غضب عليهم، فعاقبهم بما وصفوا هم أنفسَهم به لاستكبارهم؛ ففي سورة فصلت: {...فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)}

فعلى مَن أراد أن يعرف ويذوق كيف الانتفاع بالقرآن: أن يُقبِل على تدبُّره متخلِّصًا مِن هواه، راجيًا الهداية مِن ربِّ العالمين؛ فإنَّ مَن تقرَّب إلى اللهِ تقرَّب اللهُ إليه.

النداء الأخير للناس[٤]

آخِر نداء للناس -من حيث ترتيب المصحف- هو ما جاء في سورة الحُجرات: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)}.

وإذا أضيف إلى دلالة هذا الترتيب المكانيِّ أنَّ هذا النداء آخر نداء للناس نزولاً، كان واجبًا على المهتمين بالفكر الإسلامي أن يتوقَّفُوا أمام مضمونه، ويهتموا ببحث آثاره ووسائل تطبيقه، ولا سيما أن هذا النداء قد حدَّد أمرين لهما تأثير عظيم في تنظيم علاقات الناس فيما بينهم وفي إعمار الأرض: الأمر الأول هو الغاية من تنوع البشر، والثاني ميزان التفاضل بينهم، كما نبه إلى ما يضمن نتائج هذا الميزان.

فالغاية من تنوع البشر واختلافهم ليس هي أن يتفاخر بعضُهم على بعض، وأن يرى بعضُهم وجوبَ كرامة له على غيره، بسبب انتمائه إلى شَعبٍ أو قبيلةٍ ما، وإنما هي أن يعرف بعضُهم بعضًا، وما يقتضيه ذلك التعارف من تعاون على ما يحقق الخير للجميع.

وإنَّ جهات التعارف المتعددة تشتمل على معرفة المميزات والعيوب، ومن الممكن أن ينتج عن هذا أن يُغلِّب بعض الناس شيئا يكون ميزانا للتفاضل بينهم، وليس فيه صلاح أحوال الجميع في الدارين؛ لذلك لم يُترَك

---

(٤) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٤ رمضان ١٤٤٠هـ / ٩ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٨٥٠٧.aspx

ذلك للناس لاختلاف أهوائهم، وإنما وضعه ربُّ الناس والخلق جميعا، فقضى بحكمته أن تكون التقوى هي ميزان التفاضل بينهم.

وتقوى الله تعني أن يراقب الإنسان جميع شئونه، حيث يفعل ما أمر الله به ويمتنع عمَّا نهى عنه؛ حتى لا يقع في شيء لا يرضيه، وهو يوقن أن الله عليم بكل شيء -كما جاء في سورة سبأ- {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)}، وأن الله خبير بما يُصلِح شأن خلقه ويهديهم سبل السلام في الدنيا والآخرة.

ولما كان الرسل هم أكثر الناس تقوى لله في جميع شئونهم، جعلهم الله هم القدوة، وأمر الناس باتباعهم. وقضى الله الحكيم أن يكون محمد بن عبد الله خاتمهم رسولا للناس كافة، وأيَّده بكتاب عزيز -كما في سورة فصلت- {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)}. فمَن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما على الرُّسُل إلا البلاغ المبين.

الفِكر والهِداية(٥)

من المعلوم أن الله إنما أرسل الرُّسُل لهداية الناس إلى عبادته، بما يقتضيه ذلك من صلاح أمور الدنيا والآخرة، وجاء كل رسول بدليل صدقه من الآيات والمعجزات، ولكن قضى الله بحكمته أن يؤمن بذلك بعضٌ، ويكفر بعضٌ، بل جاء في الصحيحين أنَّ مِن الرُّسُل مَن يأتي يوم القيامة ليس معه من المؤمنين إلا "الرَّهْط" أي أقل من العشرة، بل هناك مَن يأتي "ليس معه أحد"!

وربما لذلك جاء قول الله لنبيه في سورة يوسف: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)}، وربما لذلك -أيضا- جاء في سورة الأنعام: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... (١١٦)}؛ ذلك حتى لا يُحمِّل النبيُّ نفسَه فوق طاقتها من الحزن على الكافرين.

فإذا حاول الباحثُ في القرآن أن يتبين سببًا لذلك؛ وجد في سورة الروم أن أكثر الناس {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... (٧)}، وتأمَّلَ أنَّهم لا يعلمون ظاهرها بل ظاهرًا منها أي بعضها؛ فسوف يدرك أنهم إذا كانوا غافلين عن ظواهر عديدة من الدنيا، فإن عِلمهم بحقائقها الباطنة أضعف، فقد لا يهتدون إلى تلك الآيات المتتابعة والمعجزات التي لا يستطيعها إنسان -مهما بلغت قدراته- دون أن يكون خالق الكون الذي يحكمه هو الذي يؤيد ذلك الرسول، وأذِن له في الدعوة؛ فإنّ الله -كما في

(٥) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٦ رمضان ١٤٤٠هـ / ١١ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٨٩١٢.aspx

سورة الجِنّ- هو: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...}. وربما يخبرنا ذلك عن سبب شيوع اتهام الأنبياء بالسحر؛ لأنهم يأتون بأشياء تصطدم بحدود علم أكثر الناس بالظاهر.

لأجل ذلك كانت دعوة القرآن إلى توسيع حدود تفكير البشر بحيث لا يكون مقصورا على حاجاتهم المادية المباشرة، بل ينبغي أن يمتد ليشمل النظر في تاريخ الأمم السابقة، وما يستطيعون الوصول إليه عن أنفسهم، وعن ذلك الكون الذي هو الكتاب المنظور، وأن يتدبروا الكتاب المسطور القرآن العظيم؛ حتى يتكوَّن عند الناس من الحكمة والمهارات ما يستطيعون به دفعَ الشبهات، وانتقاءَ النافع من ميراث السابقين، وتجنُّبَ أخطائهم، وإصلاحَ ما وقعوا فيه، والإسهامَ في إعمار الأرض، وهم في ذلك كله مستضيئيون بأنوار الإيمان مستعينون بالله؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقد قال الله في سورة الزمر: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)}.

الذِّكْر والفلاح[٦]

اقترن رجاء الفلاح في القرآن بالأمر بذكر الله -عزَّ وجلَّ- مرتين: في سورة الأنفال الآية (٤٥)، وفي سورة الجمعة الآية (١٠)، ويلاحظ في الموضعين خمسة أمور:

الأول: اتفاقهما في اللفظ: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وهذا يزيد تأكيدَ كَوْنِ ذكر الله مِن أهم سُبُل الفلاح التي ينبغي الحرص عليها.

والثاني: تقييد الذكر بالكثرة يدل على ضرورة التزامه في جميع الأحوال، وذلك مِن أفعال أُولِي الألباب كما في آل عمران: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ... (١٩١)}.

والثالث: الخطاب في الموضعين للمؤمنين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...}، فكان ذِكْرُ الله كثيرًا من أهم علامات الإيمان الصادق.

والرابع: استعمال (الواو) في صدر اللفظين، وهو حرف يفيد الجمع غالبًا بين سابقه ولاحقه. وقد جمعَت آية الأنفال مع الذِّكرِ الأمرَ بالثبات عند قتال العدو، وفي سورة الجمعة جُمِع مع الذكر الأمرُ بالسعي إلى صلاة الجمعة، وتَرْك البيع عندئذ، والانتشار بعدها، وطلب فضل الله.

وهذا يدل على أهمية اقتران ذكر الله بالعمل الصالح كالثبات في مواجهة الأعداء، والحفاظ على الشعائر بصفة عامة، والصلاة بصفة

---

(٦) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٧ رمضان ١٤٤٠هـ / ١٢ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٩٠٠٩.aspx

خاصة، والانتشار في الأرض بحيث يسعى الجميع لطلب فضل الله حيث يشاء بحسَب طاقته. كما يدل على أن ذكر الله مِمَّا يُعين على العمل.

والأمر الخامس: التعبير عن السعي إلى الصلاة في سورة الجمعة بالسعي إلى ذكر الله: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...(٩)}.

وهذا يدل على أن ذِكر الله ليس عبادة لسانية فقط، وإنما هو عبادة للقلب والجوارح؛ حيث عبَّر القرآن بذكر الله عن الصلاة التي هي مجمع العبادات وعمود الإسلام.

وإذا أضيف لذلك أنَّ معنى (ذِكْر الشيء) هو استحضاره، أمكن القول بأن ذِكر الله حقيقةً هو مراقبتُه -سبحانه- في جميع الأحوال.

وربما لذلك قال الرسول –صلى الله عليه وسلم- لرجلٍ شكا كثرة شرائع الإسلام، وأراد بابًا جامعًا يتمسَّك به -كما في مُستدرَك الحاكم-: "لا يزال لسانُك رطبًا مِن ذِكْر الله".

لأجل ذلك كان الذاكرون الذين يُفلحِون بسبب ذِكرهم ليسوا هم الذين لا يجاوز الذِّكرُ حناجرَهم أو حبَّات مَسابحِهم؛ حيث لا أثر لتلك الرياضة التي يفعلونها لألسنتهم أو أصابعهم على قلوبهم وأعمالهم.

وقد قال الله للمؤمنين في سورة الحج: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)}.

مقابلة الإحسان بالإساءة[٧]

الإنسان يغضب إذا قابل الذين يحسن إليهم إحسانه بالإساءة، وقد يقرر أن يمتنع عن الإحسان إلى المسيء إليه، وأحيانًا إلى غيره عموما، وقد يتجاوز فيبادر بالإساءة، وكأنه لا يعرف مِن معلقة زهير بن أبي سُلمَى الشاعر الجاهلي إلا قوله: "ومَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ".

وإذا كان الإنسان لا يستطيع -بحكم طبيعته وقوته الغضبية- أن يحافظ على الإحسان الدائم إلى مَن يسيء إليه؛ فإنَّ بعض الناس يستطيع أن يسيء دائما إلى مَن أحسن إليه، وأعجبُ مِن ذلك أنّه إذا حاول المحسن أن يرد الإساءة بمثلها دون زيادة بل أقل أحيانا، ترى هذا المسيء يزعم أن ذلك ليس من حقه، وأن على المحسن أن يستمر في إحسانه؛ لأن الإحسان واجب عليه تجاهه؛ وذلك لأن المسيء قد بلغ مِن الغرور بحِلم المحسِن مَبلغًا يرى فيه لنفسه عِزَّةً وكرامةً توجبان دوام الإحسان إليه مهما فعل!

ولا ريب -في ميزان العدل- أن ذلك المسيء المغرور -ما لم يتُب- ينبغي أن يلقى عقابًا عظيما يناسب إصراره على الإثم، ويناسب غرورَه الذي زيَّن له عِزَّةً وكرامة دونَ وجه حق؛ حتى يكون عِبرةً لمَن كان له قلبٌ حَيّ يعتبر بغيره قبل أن يَرِد مَورِدَه؛ فيصحِّح مساره.

لمثل هؤلاء يقال كما جاء في سورة الدخان: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ

(٧) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٠ رمضان ١٤٤٠هـ/ ١٥ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٩٤٦٣.aspx

فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)}

ولمثل ذلك يخبرنا القرآن أن الذين اغتروا بحِلم الله -سبحانه وتعالى- في الأمم السابقة، ولم يتوبوا عن أفعالهم ومعتقداتهم الفاسدة – قد نالهم هلاك فيه عبرة لغيرهم؛ كما جاء في سورة (ق): {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)}.

وقد جعل الله للناس في حياتهم ما يعتبرون به قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه ندم. ومن ذلك أنه يذيقهم بعض آثار فسادهم، وليس جميعها، كما في سورة الروم: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)}.

مِن أنوار الكهف(٨)

يحرص كثير من المسلمين على قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة أو نهارها؛ عملا بما في كتب السُّنة أنها مما يجعل للمَرء نورًا من الجمعة للجمعة، كما أن حفظ عشر في أولها أو آخرها يقي من فتنة الدجال، وعدَّها ترجمان القرآن ابن عباس من السبع المثاني التي امتنّ الله بها على نبيه في سورة الحِجر الآية (٨٧).

لأجل ذلك كان على المسلم أن يهتم بالتعرُّض لأنوارها، وأوّل ما يعينه على ذلك أن يقرأها بتدبر شديد، ولا سيما أنها حوت قصصا عجيبة، لولا أنها في القرآن لكان صعبًا على العقل أن يتقبلها، وبخاصة القصة التي جاءت في أولها، وأُخِذَ اسم السورة منها، قصة أصحاب الكهف الذين ناموا مدة الله أعلم بها، ثم استيقظوا مرة أخرى: مَن هؤلاء الذين غيَّر الله لهم قوانين الحياة؟!

يجيب القرآن أنهم فتية آمنوا بربهم، فأنعم عليهم بزيادة هدى وثبات على الحق عجيب.

ومِمّا يلفت انتباه المتأمل هو شهادة الله لهم بالإيمان، في حين أنكر على الأعراب قولهم "آمنّا" في سورة الحجرات الآية (١٤)، وأخبر بأن الإيمان لم يدخل قلوبهم بَعدُ؛ وذلك لأن هؤلاء الفتية عملهم يشهد بصدقهم بخلاف الأعراب.

---

(٨) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٢ رمضان ١٤٤٠هـ / ١٧ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٩٨٠٣.aspx

ولم يكن فتية الكهف كغيرهم من الفتيان الذين تقودهم حماستهم إلى التهوُّر الذي يقضي عليهم وعلى دعوتهم، بل كانوا مع قوتهم المفهومة من لفظ (فتية) أصحاب حكمة، وربما تكون تلك الحكمة من ثمرات الإيمان، لأنه كما في سورة التغابن: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ... (١١)}.

وكانوا فتية يحسنون الظن بربهم والتوكُّل عليه، حريصين على وقتهم، لا يستهلكونه فيما لا ينفعهم، فلم يطيلوا الاشتغال بمدة نومهم، وأرجعوا الأمر لله.

ومع أنهم حريصون على حفظ أنفسهم من الموت، مما قد يوهم مَن يكون في مثل موقفهم أن ضرورة الحفاظ على الحياة تبيح ألا يتحرَّوا الطعام الطيب وهم جائعون هاربون يخشون وصول القوم إليهم، فيسرقون أو يأكلون حرامًا، بل أوصَوْا مبعوثهم إلى السوق أن يتحرى أزكى الطعام، مع الأخذ بأسباب التخفي؛ فعليه أن يكون حريصا على إنجاز عمله دون خطأ، وأن يعلم أن غايته الشريفة لا تبرر له وسيلة غير شريفة.

إنهم فتية صادقون آتاهم الله الحكمة، يدركون أن الله لا يقبل دعاء مَن نبت لحمُه مِن حرام، وأنه لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم.

حقوق الأسرة والصلاة[٩]

مِمّا يسعى إليه الراغبُ في التعرُّض لأنوار القرآن أنْ يعرف مقاصده من ذكر حُكمٍ في موضوعٍ ما بين أحكام موضوعٍ آخر، فيبحث عمّا بينهما من صلة؛ فيزداد بذلك يقينًا أنّ هذا الكتاب -كما في سورة المائدة-: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)}.

ومِن ذلك ما يجده في سورة البقرة؛ حيث جاء الأمرُ بالمحافظة على الصلاة في حال الأمن والخوف بين آياتٍ تُنظِّم شيئًا مِن أحكام الأسرة وما للمطلقة والمتوفَّى عنها زوجُها من حقوق.

وقد أكَّدت السُّنةُ هذا الجمعَ بين الصلاة وحقوق النساء بخاصة تأكيدًا في أعلى الدرجات؛ حيث كانت آخر وصية للرسول قبل أن يرحل عن هذه الدنيا: "الصلاةَ وما ملكت أيمانُكم"، وما زال -صلى الله عليه وسلم- يكرر هذه الوصية الخاصة حتى فاضت روحُه. وربما كانت تلك الوصية ممَّا يؤكد التزام الرسول بأمر الله في سورة طه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا... (١٣٢)}.

وإن ذلك لَمِمّا يؤكد ما جاء في سورة العنكبوت مِن أمر الله لنبيه: {... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...(٤٥)}، فإن الذي

---

(٩) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٣ رمضان ١٤٤٠هـ / ١٨ مايو ٢٠١٩م – بعنوان (الأسرة والصلاة)

http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧٠٩٩٧٥.aspx

يحافظ على الوقوف بين يدي الله -تعالى- خمس مرات في اليوم والليلة ينبغي له أن يحرص على تطهير قلبه وصحيفة عمله من تضييع حقوق الآخرين، وينبغي له أن ينهاه حرصه على الإقامة السليمة للصلاة عن الاعتداء على حق من حقوق الخلق؛ لأنه يعلم أنّ الذي أوجب عليه تلك الحقوق هو الله الذي يقف بين يديه خمس مرات يوميا، وسوف يقف بين يديه يوم الحساب الأكبر، وأنّه إنْ قصَّر في أداء حقٍّ للخلق فإنَّه يُعَدّ مُقصِّرًا في حقٍّ لله.

كذلك ينبغي للمسلم ألّا يكون انشغالُه بمشكلات أسرته وحياته الخاصة شاغلًا له عن حقوق الله الخاصة، ولا سيما عمود الإسلام وركنه العظيم الذي سيكون أول ما يحاسب عليه يوم القيامة.

وبمثل هذا الجمع بين الأحكام التي تُنظِّم علاقة الإنسان بربه والأحكام التي تنظم علاقاته بغيره مِن الخلق، يتأكد عند المتأمل في هذا القرآن العظيم أنه يدعو إلى صلاح حال الناس في جميع شئونهم في الدنيا والآخرة، وأنّه لا يستقيم إسلام الإنسان إلا بإعطاء كل ذي حَقٍّ حَقَّه، وأنه لا انفصال بين أحكام هذه الشريعة المباركة.

المتصدِّق والمحتاج[١٠]

هَمُّ صاحب الحاجة قضاءُ حاجته، وقد يتحمل في سبيلها ما قد يلقاه مِن بعض الذين يقصدهم لإشباع تلك الحاجة مِن إعراضٍ أو سوء معاملة لا تليق بكرامته الإنسانية، وهو معذورٌ -بوجهٍ ما- في مسامحته في شيء مِن كرامته لأجل حاجته أحيانًا، ولكن وجود العذر له لا يمنع مِن الإقرار بأنه لا يليق بكريمٍ أن يُعرِّض نفسَه لِمَن يعتدي على تلك الكرامة. أمَّا ذلك الذي اعتدى على كرامة المحتاج، فلا شك أنه قد خالف محاسن العادات والأخلاق التي تقضي أن يعامل الإنسانُ الآخرين كما يحب أن يعاملوه، ولا سيما أنَّ أحوال الدنيا غير مضمونة.

وإنّ في القرآن آيةً قد تكفي وحدها لضبط سلوك صاحب المال وتفكيره تجاه صاحب الحاجة، وتكفي –كذلك- لضبط سلوك المحتاج وتفكيره تجاه مَن يسعى لطلب معونته، إنها قوله -تعالى- في سورة البقرة: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)}.

وقد تميزت هذه الآية بين الآيات التي تحدثت عن الصدقة وأحكامها بفاصلةٍ لم تتكرر في القرآن؛ حيث جاء فيها وصف الله -سبحانه- بأنه غني حليم.

وكأن هذه الفاصلة تُذكِّر المتصدِّقَ صاحبَ المال أنه هو الفقيرُ إلى قبول ربِّه الغنيّ الذي أمره بالصدقة ورغَّبَهُ فيها، وأنه -سبحانه- قادر أن

(١٠) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٤ رمضان ١٤٤٠هـ / ١٩ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٠١١٣.aspx

يُغنِي ذلك المحتاج الذي أرسله إليه، وإنما يُمهِله بحِلْمه ويمنحه فرصة للبرهنة على صِدق إيمانه؛ حيث إنّ الصَّدقة -كما في صحيح مسلم- برهان؛ فلا ينبغي له أن يُتبِع صدقتَه -كبيرةً كانت أم صغيرة- بما يؤذي ذلك المحتاج الذي جاءه بإذن ربه الغنيِّ الحليم، سواء في ذلك كان الأذى صغيرًا في نظره أو نظر السائل أم كان كبيرًا، وإنما عليه أن يدرك أنّ الكلمة الطيبة والعفو عن إساءة ذلك المحتاج في طلبه –خيرٌ له وأرجى قبولا عند الله.

وإذا كان هذا هو تذكير الآية لصاحب المال، فكأنها -كذلك- توجِّه المحتاج إلى أن يلجأ إلى الله الغني قبل أيٍّ مِن خلقه، فإن كان -لا بد- سائلا إنسانا غيره فعليه أن يتأدب في سؤاله، وأنّ يجنِّب نفسه التعرُّض للئيم يؤذيه بلسانه أو بيده، فينتقص بذلك من كرامته التي فضله الله بها على العالمين.

وإنما أذن الله الحكيمُ في حدوث ذلك بين الناس اختبارًا لهم؛ حيث يبلو بعضهم ببعض، فينظر كيف يعملون، وهو العليم الخبير.

أصعب عَقبة[١١]

ربما كانت أصعب عقبة في طريق النجاح والتميز هي الشروع في السَّيْر في هذا الطريق؛ لأنه يعني أن يتحكّم الإنسانُ -أوّلًا- في نفسه، وهو أمرٌ إنْ نجح فيه مرة فقد يفشل فيه مَرّات، بل تبقى الحاجة إلى التحكم في النفس حاضرةً عند كل عقبة يلقاها بعد الشروع الأول؛ لذلك كان على الإنسان أن يطلب -أوّلًا- فَهْم تلك النفس؛ حتى يستطيع ترويضها وتوطينها على استمرارِ السَّيْر في الطريق المؤدي إلى الهدف، والتغلبِ على عقباته.

ولكنَّ الإحاطة بطبيعة النفوس البشرية وما يطرأ عليها من عوارض –تكاد تكون من المحالات، وأقصى ما يمكن الوصول إليه هو استنباط بعض الخصائص والعلامات الغالبة. ولو فُرِض أنّ تلك الإحاطةَ مُمكِنةٌ لباحثٍ أو جماعة مِن الباحثين، فإنها تبقى محالة في حق مجموع البشر، ومن الصعب على الإنسان الذي أحاط بها أن يستحضر مقتضيات تلك الخصائص عند كل عقبة يلقاها.

لأجل ذلك كان من قواعد هذه الحياة اعتمادُ التجربة والخبرات السابقة، والاستفادةُ من نتائجها في تصحيح المسار وتحسين الأداء؛ للوصول إلى أفضل نجاح ممكن.

وربما كان في تلك القاعدة الحياتية ما يُفسِّر مَيْل النفس الطَّبْعِيّ ورغبتها إلى الاستماع للقصص والحكايات التي تُهَوِّن عليها الصعاب،

(١١) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٥ رمضان ١٤٤٠هـ / ٢٠ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٠٢٩٥.aspx

وتستعين بها للتوصل إلى طرق التغلب على ما تلقاه من مشكلات، وربما كشَف ذلك عن هدفٍ من أعظم أهداف كَثْرة أخبار السابقين في القرآن وتكرار بعضها بسياقات مختلفة؛ لعل المتأمِّلَ فيها يعقِلها وينتفع بها في أمر دنياه وآخِرته.

ولكن لا يكفي أنْ يُدرِك الإنسانُ العِبرةَ من قصص السابقين وتجاربهم؛ لأنَّ نفسَه قد لا تتطاوعه على العمل بمقتضى ذلك الإدراك؛ لذلك جعل الله له وسيلةً أعظم، وهي مع عِظَمها يسيرةٌ على نفسِه لا تكلفها حين الشروع فيها مشقةً، إنها الدُّعاء؛ حيث يستعين على نفسه بِمَن سواها.

وهو -إن كان مسلمًا- لا يحتاج إلى تكلُّف التفكير في أفضل صِيَغ الدعاء وأوقاته؛ لأنه يدعو -بالفعل- في أفضل أوقاته بأفضل صوره سبعَ عشرةَ مرةً يوميًّا؛ حيث يقرأ في كل ركعة من الصلوات الخمس: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)}.

فإنه إنْ أخلص في استعانته بمَن سَوَّى نفسه؛ زكَّاها، وعلَّمه، وأخرجه برحمته من الظلمات إلى النور؛ ليتحقق له الفلاح في الدنيا والآخرة.

عليكم أنفسَكم[١٢]

مِن الآيات التي يُستَدَلُّ بها على أهمية انشغال الإنسان بإصلاح نفسه ما جاء في سورة المائدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)}.

وهو استدلال مقبول من حيث العموم، ولكن ينبغي للمستدِل بالآية أن ينتبه إلى أنّ خطاب الآية للجمع، وليس للمفرد، وأنّ وقايةَ جمع المؤمنين من التأثير الضار لأهل الضلال مُعلَّقةٌ على تحقُّق الهداية من هذا الجمع.

ومما ينبني على ذلك أنه ينبغي للمؤمن ألّا ينطوِي على نفسه مُشتغِلًا بحفظها إلى درجةٍ تُنسيه حقوق أُمّته عليه؛ فمَثَل المؤمنين -كما هو مشهور- كمثل الجسد الواحد، وفي رواية في صحيح مسلم: "المؤمنون كرجل واحد"، ولا ينبغي لعاقل أن يهتم بصحة جزء من جسده وإصلاحه دون باقيه؛ لأنّ آثار مرضِ جزءٍ تسري إلى غيره.

ومِمّا يؤكد ذلك ما جاء في سورة الحجرات: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ... (١٠)}؛ حيث يكون مِن أهم مقتضيات هذه الأخُوّة ما في الأحاديث المتفَق عليها أنه لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يُحِبّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه، وأنَّ للأخ

---

(١٢) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٦ رمضان ١٤٤٠هـ / ٢١ مايو ٢٠١٩م – من دون عبارة: "وهو استدلال مقبول من حيث العموم".

http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٠٤٤٤.aspx

على أخيه حقَّ النصيحة، وكذلك ما ورد في صحيح مسلم أنّ "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة"، وأنّ عند رأس الداعي لأخيه مَلَكًا مُوكَّلًا كلما دعا لأخيه بخير، قال ذلك الملَك: "آمين، ولك بمثل"، فهل يعجِز أحدٌ عن هذه الوسيلة العظيمة؟!

وجعلت الشريعة -أيضا- لبعض الناس ولاية على بعض، وأوجبت على كل والٍ القيامَ بحَقّ مَن وَلِي أمرَهم؛ حيث يأخذ -ما استطاع- بأسباب حمايتهم ونمائهم، وأن يمنعهم من ظلم أنفسهم وظلم غيرهم؛ لتتحقق الهداية والنجاة للجميع، وإنْ لم يفعل كلُّ والٍ ما بوُسعه فقد ضيع حق الأخوة وحق أمانة الولاية، وكفى بالمرء إثمًا أن يضيع أمانةً أوجب الله عليه أداءها.

ومما ينبغي الانتباه إليه في الآية -كذلك- أنّها لم تُختَم بما قد يتوقعه العقل في مثل هذا الخطاب مِن بيان نصر الله للمؤمنين، بل خُتِمَت ببيان أن الجميع سيرجع إلى الله، وأنه سيخبرهم بحقيقة أعمالهم. وكأنّ هذا الختام يُوجّه المؤمنين إلى عدم الاشتغال بما يلحقهم في الدنيا مِن ضررٍ ما داموا على طريق الحق، وأنه يمكنهم تحمله محتسبين أجرَهم عند الله، وإنما يكون الضرر الذي لا طاقة لأحَدٍ به يومَ الحساب الأكبر.

الشيطان والإنسان[١٣]

من الأمور الثابتة في الفكر الإسلامي أن الشيطان عدو للإنسان، يريد أن يميل به عن الصراط المستقيم، وأنه لن يترك في سبيل ذلك وسيلةً لإضلاله إلا استعملها، وأنه يستطيع رؤية البشر وهم لا يَرَوْنه، ووُصِف في القرآن في ثمانية مواضع بالعدو المبين؛ وجاء الخطاب للناس كافة في سورة فاطر: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)}.

وهذه العداوة التي لا شك فيها تقتضي مِن الإنسان أن يكون شديد الاحتياط والمراقبة؛ حتى يعي خُطَط هذا العدو المبين، ويتمكن من مواجهته والنجاة مِن أَسْرها، وهذا ما أكده مجيء النهي أربع مرات في القرآن عن اتباع خطوات الشيطان.

ومع ذلك نجد في سورة النساء: {... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)}؛ وما ذلك إلا لأنه مغرور مستكبر يريد أن يحارب القويّ العزيز في ملكه، فكيف ينتصر على الذين استعاذوا بربّه وربّهم رب العالمين؟!

والذين يدركون هذه الحقيقة اعتقادًا وعملًا يكونون جديرين بأن ينسبهم الرحيمُ لنفسه، وهم المعنيُّون بقوله -تعالى- للشيطان كما في سورة الإسراء: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)}

---

(١٣) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ١٨ رمضان ١٤٤٠هـ / ٢٣ مايو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٠٧٦١.aspx

أما الذين استطاع الشيطان أن ينتصر عليهم، فإنه لم يستطع ذلك لقوة فيه، وإنما لضعفٍ وجَهلٍ فيهم، وهم الذين مكّنوه من أنفسهم حين أعرضوا عن اتباع الحق من ربهم، واتبعوا شهواتهم التي زينها لهم الشيطان؛ ولذلك سيقول الشيطان للذين اتبعوه كما في سورة إبراهيم: {... إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ... (٢٢)}

إنّ أقصى ما يستطيعه الشيطان مع عباد الله أن ينزغ بينهم، ويستفزّ فيهم طباعهم البشرية، ولكنهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون يستعينون بخالقه وخالقهم عليه، يتوبون من قريب، يستعيذون بربهم بقلوبهم وألسنتهم من هذا الشيطان الرجيم، إنه -سبحانه- يسمع ويعلم وسوسته في صدور الناس، إنه هو السميع العليم؛ ولذلك جاء في سورة النحل: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)}.

إدراك اليُسر والمعالي[١٤]

أكّدت سورة الشرح مرتين على وجود اليسر مع العُسر؛ فجاء: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)}. وقد استُنبِط مِن نَظم الآيتين أنّه "لن يغلب عُسرٌ يُسرَيْنِ"؛ وذلك لأنّ الغالب في اللغة أن الكلمة المعرفة إذا أعيدت معرفة فهي عَيْن الأولى، وحدث ذلك مع كلمة (العُسْر)، والنكرة إذا أعيدت نكرة فهي غير الأولى، وحدث ذلك مع كلمة (يُسْر).

وقد جاءت الآيتان بعد حرف الفاء الذي يربط ما بعده بما قبله، والذي قبله هو تذكير النبيّ بثلاث نِعَمٍ عظيمة تُمثِّل قِمّة المعالي التي يمكن أن يصل إليها إنسان، وذلك في صورة سؤال تقريري: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)}، ومعلوم أنَّ الإقرار أوثق درجات الإثبات.

وكأن هذا النظم يشير إلى أنَّ الإقرار بتلك النِّعَم يقتضي الصبر على الحق، وإظهار اليقين في حسن قضاء الله لعباده المؤمنين؛ فيكون ذلك اليقين وما يقتضيه مِن عمل هو أول صفات الذين رزقهم الله الهداية، وشرح صدورهم لالتزام طريقها، فإنْ هم فعلوا فقد سلكوا سبيل السلامة من الأوزار وآثارها، ولا شك أنَّ الذي يَسْلَم مِنها يكون عاليَ المقامِ عند رَبِّه حائزًا شرَف المحبَّة والاصطفاء، ومَن أحبَّه الله كان القبولُ حالَه بين أهل

---

[١٤] نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٢٤ رمضان ١٤٤٠هـ / ٢٩ مايو ٢٠١٩م – بعنوان (إدراك اليسر)

http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٢٧٠٧.aspx

الأرض والمحبةُ من أهل السماءِ، وأُجرِي الاعترافُ بفضلِه على لسان أعدائه فضلا عن أصحابه ومريديه، وليس أحد مِن البشر أعلى مقامًا من إمام المرسَلين محمد [صلى الله عليه وسلم]؛ لذلك وجب أن يكون هو القدوة كما في سورة الأحزاب: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)}.

ثم جاء بعد تلك الآيتين التكليفُ المنتظَر بعد التشريف والتأكيد على التيسير، مُصَدَّرًا بحرف الفاء -كذلك-؛ فقد أمر الله نبيه أنه إذا فرغ من شغله أن ينتصب راغبًا في فضل الله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)}.

فإن مَن يطلب العُلا ينبغي له أن يكون حافظا لوقته، ينتقل من خير إلى آخر، راغبًا في فضل مَن لا تنفد خزائنه. ومهما اشتد عليه عُسرٌ رآه عارضًا لامتحان صدقه وصبره وإعلاء مكانته، فإن كانت تلك حاله كان مِن الذين يدركهم اليسر من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون.

الدعوة الأولى(١٥)

من الأمور المتفق عليها بين جمهور الأمة أنَّ أول ما نزل من القرآن هو الآيات الخمس الأولى من سورة العلق: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)}.

وقد جرت الألسنة والأقلام منذ القرن الأول من الإسلام بأن القرآن يدعو إلى القراءة والعلم، وأنَّ أول ما يشهد لهذه الدعوة هو أول كلمة نزلت منه (اقرأ)... ولكن إن كانت هذه الآيات قد دعت إلى القراءة والعِلم، فإنها قد علَّقَت هذه الدعوة بما يضمن نفعها، وهو أن تكون باسم ربِّنا، ومن أشهر المعاني التي ذكرها المفسرون لحرف الباء -هنا- أنها باء الاستعانة، والمراد منها واضح، وهو طلب العون من الله -تعالى-، وقيل: هي باء المصاحبة، والمراد بالمصاحبة -هنا، كما قال الطاهر بن عاشور [رحمه الله] في تفسيره (التحرير والتنوير)- "مصاحبة الفهم والملاحظة لجَلاله".

ومما يدل عليه هذا التعليق أنه ينبغي للذين يريدون امتثال الأمر الإلهي بالقراءة أن يجتهدوا في تحقيق الإخلاص لله حين يقرؤون ما يبتغون من ورائه نفعًا.

وفي اختيار وصف (الرب) -هُنَا- ما يناسب المطلوبَ ويُعين عليه؛ فإن رَبّ الشيء هو القيِّم عليه المدبِّر لشئونه، وإذا استعان القارئ بربِّه الذي

---

(١٥) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٢٥ رمضان ١٤٤٠هـ / ٣٠ مايو ٢٠١٩م
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٢٨٥٥.aspx

خلق كل شيء، وخلق الإنسان وهو به أعلم، واستحضر قلبُه ذكرَ ربِّه وقيومِيّتَه -تعالى- حين يقرأ، مُخلِصًا لرَبّه، راغبًا في تحصيل علم من العلوم التي تسهم في إعمار الدنيا والآخِرة، فإن هذا القلب سيُشرق فيه نور العلم النافع، ويحصل له من العلم ما يقوده إلى خير الدنيا والآخرة، ويكون داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا؛ فالله هو الأكرم وخزائنه لا تنفد.

ومَن كانت هذه حاله حين يتعلَّم، فإنه قد أعان نفسه ليكون -كما في كتب السُّنة- مِن الذين تضع لهم الملائكة أجنحتهم رضاءً بما يصنعون، وتستغفر لهم، ويستغفر لهم كل شيء حتى الحيتان في البحر بكيفيةٍ لا يعلم حقيقتها إلا رب كل شيء ومليكُه... وصار بذلك مستحقا أن يكون من "العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما، وإنما ورَّثوا العِلْم، فمَن أخذه أخذ بحظٍّ وافر". وكان -أيضًا- من العلماء الذين اختصهم الله بخشيته في سورة فاطر: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...(٢٨)}. أولئك كان سعيهم مشكورًا.

حماية الإنجاز[١٦]

ينبغي لقارئ القرآن أن يتجاوب مع أسئلته، ويتفكَّر فيها؛ لتشرق أنواره في قلبه. ومن ذلك ما في سورة البقرة: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)}.

ويُلاحَظ أنَّ الجنة المسئول عنها ما مِن نفسٍ إنسانية إلا تصبو إليها؛ وقد يتوقع مَن يشرع في قراء الآية أول مرة أنه سيجد القرآن يخبره بالسبيل إلى مثلها، ولكن الآية تفاجئه بحال صاحبها وذريته؛ فصاحبُها قد طعن في السن ولا يستطيع رعاية ما اكتسبه، وذريته ضعيفة، وهي التي كان يُرجَى منها -إن كانت قوية في مثل تلك الحال- أن ترعى هذه الجنة وصاحبها.

هذه الحال تجعل القارئ يعيد النظر في رغبته في مثل هذه الجنة، لكنه قد يرى -إن لم يكمل الآية- أن مثل هذه الجنة تكون خير معين لمثل الرجل الكبير وذريته الضعيفة، ولكن الآية تبلغ بالقارئ إلى حدٍّ يصيب متأمِّله بالفزع الشديد؛ فهذه الجنة التي أمّل صاحبُها في خيرها له ولذريته قد احترقت فجأة في مشهد يطيش له عقل الحكيم... ولا شك أنه لا أحد يريد أن يعيش هذا المشهد حقيقةً.

(١٦) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار رمضان) – ٢٧ رمضان ١٤٤٠هـ / ١ يونيو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٣١٠٧.aspx

وكأنّ هذه الآيةَ البليغة يُراد منها تنبيه القارئ إلى أن يأخذ بالأسباب التي يُرجَى من ورائها أن يحمي ما وُفِّق إليه من الإنجازات والمكتسبات الصالحة.

وليس في حياة المسلم إنجازٌ أفضل مِن أنْ يتقرَّب إلى الله بالأعمال الصالحة ذات الأجر العظيم؛ فكان عليه أن يحذر أن يضيع عمله بعد أن يتقنه، كأنْ يمُنّ على الفقير أو يستغله بسبب صدقته، أو أن ينسب الفضل لنفسه، وإنما الذي هداه للخير وأعانه عليه هو الله.

وعلى العاقل الذي يعلم أن الدنيا دار اختبار أن يحذر أن يقع بسبب غفلته فيما جاء في خواتيم سورة الكهف: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)}.

ولا سبيل لحماية ما أنجزه الإنسانُ من أمور دنياه وآخِرته أفضل من الاستعانة بربه الرحيم؛ ليصلح عمله، ويهديه سبل السلام في الدنيا والآخرة.

الرضا والاستسلام[١٧]

رضا الإنسان بقَدَر الله وابتلائه يعني حُسن التعامل معه، ولا يعني الاستسلام والانقياد له؛ فعلى الإنسان إن حدَث له شيء فيه ضررٌ أن يدفعه آخِذًا بكُلِّ سببٍ مباح، مُحسِنًا الظن بربه الرحيم، وهو في الوقت نفسه مُؤمِنٌ أنه لا يجري في مُلكه إلا ما شاء وحده لا شريك له، والإنسان إن لم يأخذ بالأسباب التي يَدفع بها الضرر كان -حينئذٍ- آخِذًا بأسباب هَلَكَته؛ فيُخشَى عليه من الدخول في مخالفة نَهْي الله -تعالى- في سورة البقرة: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... (١٩٥)}؛ ولذلك كان أمْرُ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح ابن حبان: "تداوَوْا، فإنَّ الله لم يُنزِل داءً إلا وقد أَنزَل له شفاء، إلا السَّام [أي الموت] والهَرَم [أي كِبَر السِّن]".

وليس معنى أن المصائب قد تنزل على الإنسان بسبب ذنوبه أن يستسلم لها، بدعوى أنه مستحق لتلك المصيبة [العقوبة] التي نزلت به؛ لأن مصائب الدنيا ليست -في المقام الأول- عقوبةً بل إنذارًا بالعقوبة؛ ولذلك يَهدي القرآنُ إلى أن تكون المصيبة التي تنزل بسبب المعصية دافعًا لإصلاح الحال بالتوبة؛ لأنه حين يشير إلى أن المصيبة إنما هي ببعض ذنب الإنسان فكأنه يدعوه لإزالة ما هو جهته وهو المعصية؛ حتى يرفع الله عنه ما أنزله عليه.

---

(١٧) نُشر في صحيفة الأهرام اليومية – صفحة (أنوار العيد) – ٣ شوال ١٤٤٠هـ / ٧ يونيو ٢٠١٩م.
http://www.ahram.org.eg/NewsQ/٧١٣٩٠٢.aspx

أما الاستسلام للمصائب فهو -بالإضافة إلى أنه قد يؤدي إلى التهلكة- قد يُدخِل في اليأس والقنوط من رحمة الله، فيكون ذلك بابًا للدخول في أهل الضلال والكفر؛ فقد جاء على لسان أبي الأنبياء إبراهيم في سورة الحجر: {...وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)}، وجاء على لسان نبي الله يعقوب في سورة يوسف: {... إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)}.

وإنَّ أيسر الوسائل التي يُدفَع بها المصائب وأعظَمها (الدعاء)، ولكن على المسلم أن يحذر اليأس بسبب تأخر الإجابة؛ لأنها مضمونة بنَصِّ القرآن في سورة غافر: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)}.

ولكن مَن يتأمل الآية يجد أنها أشارت إلى أن ترك الدعاء يُعَدّ من الاستكبار عن عبادة الله، وما دام الدعاء عبادة فهو مطلوب لذاته، وليس للعبد أن يختار على ربه، بل الرَّبُّ يقضي بما شاء وقت شاء كيف شاء، لا يُخلِف وَعدَه، وهو الحكيم الخبير.

فهرس المقالات

صور من المقالات في الجريدة المطبوعة



وعلى شبابه وعلى ماله وعلى علمه ولذلك فهو مسئول عن ذلك كله يوم القيامة.

■ د. فوزية عبد الستار

نظرات فى القرآن

الأهرام ١/ رمضان ١٤٤٠هـ ٦ مايو ٢٠١٩م

التزكية والتعليم

يلاحظ قارئ القرآن اختلافا فى ترتيب بعض الألفاظ من سياق لآخر. كالذى يمكن أن يلاحظه من اختلاف ترتيب ذكر التزكية مع تعليم الكتاب والحكمة، بعد ذكر تلاوة الآيات: ففى سورة البقرة قدَّم التعليمَ على التزكية، وهذا الترتيب قد جاء على لسان أبى الأنبياء إبراهيم؛ حين كان يدعو وهو يرفع قواعد الكعبة المشرفة: «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)».

ويرى مصطفى حمدون أمين الباحث فى الفكر الإسلامى بكلية دار العلوم أن هذا ترتيب منطقي؛ حيث يُبلِّغ الرسولُ – أولا – الآيات إلى الناس، ثم يكون الإقبال على التعلم، ثم تحدث التزكية من إصلاح وتطهير نتيجة نجاح المتعلم.

ولكن فى مواضع أخرى قُدِّمت التزكية على التعليم، كالآية (١٥١) من سورة البقرة، ومثلها في سورة آل عمران: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)»، وكذلك الآية الثانية من سورة الجمعة.

وهذا لمناسبة مقام الامتنان، كما هو ظاهر فى لفظ الآية، وكذلك للاهتمام بالتزكية، وتنشيط الهمم لطلب وسائلها. وأضاف حمدون أنه مما يمكن استنباطه فى ضوء تلك الإشارات: أن الله – تعالى – إذا أراد هداية عبده زكى نفسه أولا، وهيأها؛ حتى تستوعب حقائق الكتاب والحكمة، ثم يزكيها تزكية كبرى بعد العلم تتحقق بها الطهارة من مساوئ الضلال المبين.

وأن التزكية إنما تحصل بمجرد استماع القلوب للآيات، وثَمَّ فرق بين الاستماع ومجرد السماع. وإن أولئك الذين تحصل لهم التزكية بمجرد الاستماع قد مَنَّ الله عليهم بفطرة نقية تستجيب لداعى الحق بمجرد وجوده فى حيز إدراك تلك الفطرة.

كما أنّ سبيل الداعى إلى الحق أن يتلو ويُبلِّغ ويُعلِّم، وهذه هى تزكيته للذين يدعوهم؛ حيث يخبرهم بأسباب التزكية ويُعرِّضهم لها، وليس فى طاقته أن يُدخلهم فيها؛ فإن الرسل –وكذلك ورثتهم من العلماء– ما هم إلا معلمون، لا يُطالبون بغير الاجتهاد فى التعليم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يضيرهم بعد ذلك إعراض المتعلمين عن إرشادهم. أما تزكية الرّبّ لعبده فاصطفاء وتأهيل وتعليم وتطهير وتثبيت وترقية، كما اصطفى مريم وطهّرها واصطفاها على نساء العالمين، وقد قال الله للرسول في سورة القصص: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)».

■ رجب عبدالعزيز

مسابقة الأهرام الدينية

شارك معنا طوال شهر رمضان

لتفوز بواحدة من رحلات العمرة

سؤال المسابقة

الطريقة المفضلة شرعًا في تذكية الإبل وأمثالها وتجوز في البقر.

– العقر ويتحقق بجرح الحيوان غير المقدور عليه في أي جزء من بدنه سواء.

■ حمادة السعيد

نظرات فى القرآن

الأهرام ١٨ رمضان ١٤٤٠هـ الخميس ٢٣ مايو ٢٠١٩م

الشيطان والإنسان

من الأمور الثابتة في الفكر الإسلامي أن الشيطان عدو للإنسان، يريد أن يميل به عن الصراط المستقيم، وأنه لن يترك في سبيل ذلك وسيلة لإضلاله إلا استعملها، وأنه يستطيع رؤية البشر وهم لا يَرَوْنَه، ووُصف في القرآن في ثمانية مواضع بالعدو المبين؛ وجاء الخطاب للناس كافة في سورة فاطر: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)».

وهذه العداوة كما يقول مصطفى حمدون أمين. الباحث في الفكر الإسلامي بكلية دار العلوم تقتضي من الإنسان أن يكون شديد الاحتياط والمراقبة؛ حتى يعي خطط هذا العدو المبين، ويتمكن من مواجهته والنجاة من أسرها، وهذا ما أكده مجيء النهي أربع مرات في القرآن عن اتباع خطوات الشيطان.

ومع ذلك نجد في سورة النساء: «... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)»؛ وما ذلك إلا لأنه مغرور مستكبر، فكيف ينتصر على الذين استعانوا بربّه وربّهم رب العالمين؟!

والذين يدركون هذه الحقيقة اعتقادًا وعملًا يكونون جديرين بأن ينسبهم الرحيمُ لنفسه، وهم المعنيُّون بقوله –تعالى– للشيطان كما في سورة الإسراء: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)».

أما الذين استطاع الشيطان أن ينتصر عليهم، فإنه لم يستطع ذلك لقوة فيه، وإنما لضعف وجهل فيهم، وهم الذين مكّنوه من أنفسهم حين أعرضوا عن اتباع الحق من ربهم، واتبعوا شهواتهم التي زينها لهم الشيطان؛ ولذلك سيقول الشيطان للذين اتبعوه كما في سورة إبراهيم: «... إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ... (٢٢)».

إنّ أقصى ما يستطيعه الشيطان مع عباد الله أن ينزغ بينهم، ويستفزّ فيهم طباعهم البشرية، ولكنهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون يستعينون بخالقه وخالقهم عليه، يتوبون من قريب، يستعينون بربهم بقلوبهم وألسنتهم من هذا الشيطان الرجيم، إنه –سبحانه– يسمع ويعلم وسوسته في صدور الناس، إنه هو السميع العليم؛ ولذلك جاء في سورة النحل: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ».

مسابقة الأهرام الدينية

شارك معنا طوال شهر رمضان

الزيارات والعطف على الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات؛ لما في ذلك من جلب المودة والمحبة بين الناس وإدخال السرور على قلوبهم فضلا عن بذل الدعاء بقبول ما سبق هذا اليوم وما قارنه من أعمال صالحة، وتبادل التهاني المشروعة بين المسلم وأخيه بقدوم العيد كقول «تقبل الله»، و«عيدكم سعيد»، و«عيدكم مبارك»، «وكل عام وأنتم بخير».

وكلها إشارات لتعلم الصناعات الثقيلة عسكرية ومدنية من أجل المحافظة على البلاد ومقدراتها. فهذا هو هدى نبينا الذى دعا إلى تعلم الصناعات والحرف التى تحمى بلاد المسلمين.

■ حمادة السعيد

الأهرام نظرات فى القرآن

السبت ٢٧ رمضان ١٤٤٠هـ ١ يونيو ٢٠١٩م

حماية الإنجاز

ينبغي لقارئ القرآن أن يتجاوب مع أسئلته، ويتفكر فيها؛ لتشرق أنوارها في قلبه. ومن ذلك ما في سورة البقرة: «أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ».

ويُلاحَظ أنّ الجنة المسئول عنها ما من نفس إنسانية إلا تصبو إليها؛ وقد يتوقع مَنْ يشرع في قراءة الآية أول مرة أنه سيجد القرآن يخبره بالسبيل إلى مثلها، ولكن الآية تفاجئه بحال صاحبها وذريته؛ فصاحبُها قد طعن في السن ولا يستطيع رعاية ما اكتسبه، وذريته ضعيفة، وهي التي كان يُرجَى منها –إن كانت قوية في مثل تلك الحال– أن ترعى هذه الجنة وصاحبها.

هذه الحال. كما يري مصطفى حمدون أمين الباحث في الفكر الإسلامي بكلية دار العلوم بالقاهرة. تجعل القارئ يعيد النظر في رغبته في مثل هذه الجنة، لكنه قد يرى –إن لم يكمل الآية– أن مثل هذه الجنة تكون خير معين لمثل الرجل الكبير وذريته الضعيفة، ولكن الآية تبلغ بالقارئ إلى حدّ يصيب متأمّله بالفزع الشديد؛ فهذه الجنة التي أمّل صاحبُها في خيرها له ولذريته قد احترقت فجأة في مشهد يطيش له عقل الحكيم... ولا شك أنه لا أحد يريد أن يعيش هذا المشهد حقيقة.

وكأنّ هذه الآية البليغة يُراد منها تنبيه القارئ إلى أن يأخذ بالأسباب التي يُرجَى من ورائها أن يحمي ما وُفِّق إليه من الإنجازات والمكتسبات الصالحة.

وليس في حياة المسلم إنجازٌ أفضل من أنْ يتقرّب إلى الله بالأعمال الصالحة ذات الأجر العظيم؛ فكان عليه أن يحذر أن يضيع عمله بعد أن يتقنه، كأنْ يمُنّ على الفقير أو يستغله بسبب صدقته، أو أن ينسب الفضل لنفسه، وإنما الذي هداه للخير وأعانه عليه هو الله.

وعلى العاقل الذي يعلم أن الدنيا دار اختبار أن يحذر أن يقع بسبب غفلته فيما جاء في خواتيم سورة الكهف: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا». ولا سبيل لحماية ما أنجزه الإنسان من أمور دنياه وآخرته أفضل من الاستعانة بربه الرحيم؛ ليصلح عمله، ويهديه سبل السلام في الدنيا والآخرة.

■ رجب عبدالعزيز

مسابقة الأهرام الدينية

لتكريم الدعاة من مصر والسعودية.

إندونيسيا

ومن أهم عادات ومظاهر العيد في إندونيسيا إعطاء عيدية العيد للأطفال داخل أظرف ملونة وإقامة المهرجانات والاستعراضات فى جميع أنحاء البلاد. وفى العاصمة جاكرتا يتم توزيع

الرئيسى بنيودلهى ويعد الأكبر والأوسع لاتساعه لـ ٢٥ ألف مصل ومن الأعمال المهمة لدى مسلمى الهند الاهتمام بتنظيف المنازل وتزيينها وتناول الحلوى ويطلق مسلمو الهند على وقفة العيد اسم «جاندرات» أو ليلة القمر، ويؤدون صلاة العيد ثم تتم الزيارات العائلية وبين الأصدقاء، ويعطون عيدية العيد.

ويتبادلون الزيارات العائلية وإخراج زكاة الفطر وصلاة العيد وبعدها يتجهون للمقابر وبخاصة مقابر حرب الإبادة فى البلقان ثم يقومون بالزيارات العائلية بدءا من البيت الكبير أو بيت الجد والجدة.

■ محمد نور

■ عبدالوهاب حامد

نظرات فى القرآن

الجمعة الأهرام ٢ شوال ١٤٤٠هـ ٧ يونيو ٢٠١٩م

الرضا.. والاستسلام

رضا الإنسان بقدر الله وابتلائه يعنى حُسن التعامل معه، ولا يعنى الاستسلام والانقياد للابتلاء؛ فعلى الإنسان إن حدث له شيء فيه ضررٌ أن يدفعه أخذًا بكل سبب مباح، محسنًا الظن بربه الرحيم، وهو فى الوقت نفسه مؤمنٌ أنه لا يجرى فى مُلكه إلا ما شاء وحده لا شريك له.

وكما يقول مصطفى حمدون أمين. الباحث فى الفكر الإسلامى فإن الإنسان إن لم يأخذ بالأسباب التى يدفع بها الضرر كان –حينئذ– آخذًا بأسباب هلكته؛ فيُخشى عليه من الدخول فى مخالفة نهى الله –تعالى– فى سورة البقرة: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... (١٩٥)»؛ ولذلك كان أمْرُ النبيّ –صلى الله عليه وسلم– كما فى صحيح ابن حبان: «تداوَوْا، فإنّ الله لم يُنزل داءً إلا وقد أنزل له شفاء، إلا السَّام [أى الموتَ] والهَرَم [أى كِبَر السّن]».

وليس معنى أن المصائب قد تنزل على الإنسان بسبب ذنوبه أن يستسلم لها، بدعوى أنه مستحق لتلك المصيبة [العقوبة] التى نزلت به؛ لأن مصائب الدنيا ليست –فى المقام الأول– عقوبة بل إنذار بالعقوبة؛ ولذلك يَهدى القرآنُ إلى أن تكون المصيبة التى تنزل بسبب المعصية دافعًا لإصلاح الحال بالتوبة؛ لأنه حين يشير إلى أن المصيبة إنما هى ببعض ذنب الإنسان فكأنه يدعوه لإزالة ما هو جهته وهو المعصية؛ حتى يرفع الله عنه ما أنزله عليه.

أما الاستسلام للمصائب فهو – بالإضافة إلى أنه قد يؤدى إلى التهلكة– قد يُدخل فى اليأس والقنوط من رحمة الله، فيكون ذلك بابًا للدخول فى أهل الضلال والكفر؛ فقد جاء على لسان أبى الأنبياء إبراهيم فى سورة الحجر: «...وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)»، وجاء على لسان نبي الله يعقوب فى سورة يوسف: «... إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (٨٧).

وإنّ أيسر الوسائل التى يُدفَع بها المصائب وأعظمها (الدعاء)، ولكن على المسلم أن يحذر اليأس بسبب تأخر الإجابة؛ لأنها مضمونة بنص القرآن فى سورة غافر: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (٦٠).

ولكن مَن يتأمل الآية يجد أنها أشارت إلى أن ترك الدعاء يُعَدّ من الاستكبار عن عبادة الله، وما دام الدعاء عبادة فهو مطلوب لذاته، وليس للعبد أن يختار على ربه، بل الرّبُّ يقضى بما شاء وقت شاء كيف شاء، لا يُخلف وعده، وهو الحكيم الخبير.

«كتاب الله» فى الأدب العالمى